الفرح في القرآن الكريم دوافعه وأنواعه وأصناف الفرحين

دراسة موضوعية من خلال تفسير الطبري رحمه الله

د. عبد الرحمن بن عابد الغريبي

جامعة الطائف

ملخص البحث

الفرح دافع نفسي تبحث عنه النفس وتشقى من أجله، وقد يدفع الإنسان المال من أجل السعادة والفرح، والقرآن الكريم جاء ليقرر هذه القضية ويبين دواع الفرح وأنواعه وأصناف الناس الفرحين، لذا سأدرس في هذا البحث الفرح, وسأجل تفسير الطبري أنموذجا لهذه الدراسة, وسأورد أقوال المفسرين كشواهد لما يستدعيه الأمر.

وكان هذا البحث –كما أسلفت– لبيان الفرح، حيث جعلت له عنوانا: **دواعي الفرح في القرآن الكريم أنواعه وأصناف الفرحين**، وجعلت تفسير الطبري أنموذجا للدراسة، وعرجت على أقوال المفسرين معه، وجعلت له مقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع، والدراسات السابقة له، ثم المنهج في الدراسة والبحث.

وبعد ذلك مهدت للبحث بتمهيد ذكرت فيه المعنى اللغوي والاصطلاحي للفرح، ثم ما يرادفه من كلمات وما يضاده.

ثم قسمت البحث إلى عدة مباحث تحت كل مبحث عدة مطالب، وكانت كما يلي:

جعلت المبحث الأول: عن دواعي الفرح في القرآن الكريم، وتحته مطلبان هما الدواعي النفسية، والدواعي الاجتماعية للفرح، وهي من أكبر ما يجلب الفرح في حياة الإنسان.

ثم المبحث الثاني: وكان عن أنواع الفرح في القرآن الكريم، وتحته ثلاثة مطالب هي: الفرح المباح المطلق، ثم الفرح المباح المقيد، ثم الفرح المذموم بنوعيه المكروه والمحرم.

ثم المبحث الثالث: وهو عن أصناف الفرحين، وفيه ثلاثة مطالب: فرح الكفار وفرح المنافقين وفرح المؤمنين. ثم ختمت بخاتمة فيها التوصيات والنتائج، ثم المراجع والفهارس.

Research Summary

Joy is my self-motivation, and my soul seeks it, Man may pay money for happiness and joy, And the Holy Quran came to decide this issue and shows the reasons of joy and types and varieties of happy people, So I will study in this research joy, I will explain the explanation of Tabari as a model for this study, and I will quote the commentators as evidence of what is called for.

This research - as I mentioned - to show joy, Where I made him a title**: the reasons for joy in the Koran types and varieties of joy**, And made the interpretation of Tabari model of the study, And I asked the commentators with him, And made him an introduction in which the importance of the subject, and previous studies, and then the curriculum in the study and research.

And then paved the search for the boot in which I mentioned the linguistic and theological meaning of joy, and then what the words and what is contrary to him.

Then the research was divided into several topics under each subject of several demands, which were as follows:

The first topic: The reasons for joy in the Holy Quran, and under it two demands are psychological reasons, and social reasons for joy, which is the greatest brings joy in human life.

Then the second topic: It was about the types of joy in the Holy Quran, and below it are three demands: the absolute permissible joy, then the permissible permissible joy, then the joy that is repulsed by the hated and forbidden types.

Then the third topic: It is about the types of joy, and there are three demands: the joy of the infidels and the joy of hypocrites and the joy of believers. It then concluded with recommendations and results, then references and indexes.

المقدمـــــة

الحمد لله الذي أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وله الآخرة والأولى، الذي أحب من فرح بالرحمة والفضل والشكران، وأبغض من فرح بالبطر والطغيان والنكران.

ثم الصلاة والسلام على خير خلقه النبي المصطفى، والحبيب المجتبى، الذي يفرح لما يفرح أمته، ويحزن لما يحزنهم، ثم أما بعد...

الفرح من المطالب التي تسعى إليها النفس وتبحث عنها، بكل الطرق التي تؤدي إليه، ومع انغماس الناس في الشهوات والملذات، أحببت أن أبين لهم الفرح الحقيقي الذي تكون به سعادة الدنيا والآخرة، وأن أحذرهم من الفرح الذي تكون عاقبته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾.

وما جاء الدين إلا لسعادة الناس في الدنيا والآخرة، والسعادة هي المكمن الحقيقي للفرح، فمتى اكتملت سعادة الإنسان في قلبه وصل إلى غايته التي يسمو إليها، ومن ضن أن السعادة تكون في غير طاعة الله خاب وخسر، فمهما بلغت السعادة في غير رضا الله ستكون وقتية أو كاذبة مزيفة، سرعان ما تتبدد وتتلاشى، وفي هذا البحث سأتناول موضوع الفرح في القرآن الكريم دوافعه وأنواعه وأصناف الفرحين.

فلقد منَّ الله عليَّ بالبحث في هذا الموضع الذي وسمته بـ (**الفرح في القرآن الكريم أنواعه وأصناف الفرحين**)، وإن كان هذا البحث قد بحث قبل في دراسات متفرقة، لكن لم أجد من قسم آياته واستوفاها -حسب اطلاعي- كما قسمت، ثم إنني قد اقتصرت على تفسير الإمام ابن جرير الطبري، وجعلته العمدة في بحثي، ثم استشهدت بما يعزز البحث من أقوال المفسرين خاصة والعلماء في باقي الفنون عامة.

أهمية هذا الموضوع:

لا شك أن الفرح مطلب للنفس وغاية يبحث عنها كل إنسان على وجه البسيطة، فأردت من خلال هذا البحث أن أوجه القارئ لدواعي الفرح النفسية والاجتماعية، ثم بيان أنواع الفرح كي يعرف الطريق الصحيح الذي يوصله للفرح الدائم غير المنقطع.

أسباب اختيار البحث:

- بيان هداية القرآن الكريم للفرح بأنواعه من خلال تفسير ابن كثير.
- بيان دواعي الفرح النفسية والاجتماعية.
- التحذير من الفرح المذموم الذي هلك بسببه الكثير من الناس.

أهداف البحث:

- التجديد في طرح الموضوع من ناحية بيان دوافعه
- التركيز في جمع تفسير آيات الفرح من خلال تفسير الطبري -رحمه الله-.
- بيان اللطائف القرآنية في الفرح المباح والفرح المذموم.
- الكشف عن السر العجيب وراء الفرح وهو التعلق بالله -سبحانه وتعالى-, وكل فرح سواه زائل كاذب.

الدراسات السابقة:

- الفرح في القرآن الكريم دراسة موضوعية، للباحثة: آيات جهاد عودة شايب، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية - نابلس.
- الفرح: دراسة قرآنية تربوية، للباحث: زيد عمر عبد الله, جامعة الملك سعود.
- الأبعاد النَّصية في ألفاظ الفرح والحزن في القرآن الكريم، للباحث: رياض حمود حاتم المالكي، جامعة بابل - العراق.

منهج البحث:

البحث عن الفرح في القرآن الكريم من التفسير الموضوعي، حيث قمت بتناول كلمة الفرح في القرآن ثم ركزت الكلام من خلال تفسير الطبري، وهذا يعني أنني سأجمع آيات الفرح وأبين كلام الإمام الطبري حولها، ثم إن لزم الأمر استشهدت بكلام بعض المفسرين لذلك، مما يعني أنني سأتخذ اسلوب التفسير الموضوعي في البحث, فكان تقسيم البحث دليل على مدى أهميته، فبينت المعنى الحقيقي للفرح وما يرادفه ويضاده، ثم دواعي الفرح النفسية والاجتماعية، ثم أنواع الفرح المباح والمذموم مطلقه ومقيده, ثم أصناف الفرحين، وقسمتهم إلى منافقين وكفار ومؤمنين، وبينت حال كل صنف منهم، ثم عاقبة فرحهم في الدنيا والآخرة، وأخيرا ختمت البحث بخاتمة بينت فيها ما توصلت إليه في بحثي، ثم توصيات أوصي بها نفسي وغيري، ثم ذكرت المصادر التي رجعت إليها، وفهرست البحث بفهارس عامة.

وقد احتوى هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة، وتثبيت للمصادر والمراجع، ثم فهارس البحث، وجاءت على النحو التالي:

المقدمة: وقد اشتملت على أهمية الموضوع، ومنهج البحث.

التمهيد: وفيه الكلام عن المعنى اللغوي والاصطلاحي للفرح، مع بيان المرادفات والمقابلات له.

المبحث الأول: دواعي الفرح في القرآن الكريم، وفيه مطلبان

المطلب الأول: الدواعي النفسية للفرح.

المطلب الثاني : الدواعي الاجتماعية للفرح.

المبحث الثاني : أنواع الفرح في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفرح المباح المطلق.

المطلب الثاني: الفرح المباح المقيد.

المطلب الثالث: الفرح المذموم (المحرم – المكروه).

المبحث الثالث: أصناف الفرحين، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: فرح الكافرين.

المطلب الثاني: فرح المنافقين.

المطلب الثالث: فرح المؤمنين.

تمهيد

الفرح من الأمور التي تحبها النفس وتبحث عنها في مظانها؛ لأن الطبيعة البشرية تنفر من الحزن ومما يؤدي إليه، وهي من الانفعالات النفسية التي تغير حالاتها من الحزن أو السكون إلى حالة بهجة وسرور، لذلك سأبين معنى الفرح في اللغة والاصطلاح.

الفرح لغة: هو محرك السرور، وهو نقيض الحزن، حيث يجد الفَرِح في نفسه خفة(١).

يقول ابن فارس(٢): "الفاء والراء والحاء: أصـــلان يدل أحدهما على خلاف الحزن, والآخر الإثقال, فالأول: الفرح يقال: فَرِح يفْرح فَرحاً فهو فَرِح، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم

(١) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، (٧/ ١٢)، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار النشر: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحســـين اللغوي القزويني كان نحويا على طريقة الكوفيين، وكان شـافعيا، فتحول مالكيا، صـنف الكثير في كتب اللغة، قال الذهبي: مات سـنة خمس وتسـعين وثلاثمائة بالري. انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٣٥٢/١), اســـم المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن الســـيوطي، دار النشر: المكتبة العصرية – لبنان/ صيدا، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾, والمفراح: نقيض المحزان, وأما الأصل الآخر فالإفراح هو: الإثقال"(٣).

وفي الاصطلاح: الفرح هو انفتاح القلب بما يلتذ به، وقيل: لذة القلب لنيل المشتهى، وقال الراغب: شرح الصدر بلذة عاجلة, وأكثر ما يكون في اللذات البدنية(٤).

ويقول البغوي: "والفرح لذة في القلب بنيل المشتهي"(٥), بينما اعتبره القرطبي: " لذة في القلب بإدراك المحبوب"(٦).

مرادفات الفرح:

للفرح مرادفات تكون بنفس معناه أو قريبة منه، وسأورد بعضا من هذه المرادفات:

- **الابتهاج**: هو إحساس بالسرور والسعادة مبالغ فيه.
- **الاستبشار**: مفرده بشر، يبشر مثل فرح يفرح، وهو الاستبشار(٧).
- **الاغتباط**: "والغِبْطةُ: المسرَّةُ وقد أَغْبَطَ"(٨).
- **الانشراح**: انشرَحت نفسه أي: أحس بفرح وسرور كبير.

---

(٣) معجم مقاييس اللغة، (٤/ ٤٩٩-٥٠٠)، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار النشر: دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

(٤) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، (٥٥٣/١) لمحمد عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: دار الفكر المعاصر, دار الفكر - بيروت , دمشق - ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

(٥) تفسير البغوي، (٣٥٧/٢) اسم المؤلف: البغوي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد العك.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، (٣٥٤/٨) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب - القاهرة.

(٧) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (٤٩/١), لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت.

(٨) لسان العرب، (٣٥٩/٧), لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى.

- **البشاشة:** "الْبشُّ فرح الصديق بالصديق"(٩).
- **البهجة:** "حسن لون الشيء ونضارته، ورجل بهج أي: مبتهج بأمر يسره"(١٠).
- **البشر:** الطلاقة، وسميت بذلك لأن المبشر بما يسره تحسن بشرة وجهه(١١).
- **الحبور:** "والحبور كله السرور"(١٢).
- **السعادة:** "السين والعين والدال, أصل يدل على خير وسرور"(١٣).
- **السرور:** "السرور الفرح"(١٤).
- **المرح:** "شدة الفرح حتى يجاوز قدره"(١٥).

مضادات كلمة الفرح:

كما أن لكلمة الفرح مرادفات فلها أيضا مضادات تعطي عكس معنى الفرح، ومن ذلك:

- **الحزن:** "نقيض الفرح"(١٦).

---

(٩) تهذيب اللغة، (١٩٨/١١), لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.

(١٠) كتاب العين، (٣٩٤/٣)، للخليل بن أحمد الفراهيدي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي / د. إبراهيم السامرائي.

(١١) انظر: المخصص، (٨٦/٤), لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل إبراهم جفال.

(١٢) لسان العرب (١٨٥/٤).

(١٣) معجم مقاييس اللغة، (٧٥/٣), لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار النشر: دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

(١٤) كتاب العين (١٨٩/٧)

(١٥) كتاب العين (٢٢٥/٣)

(١٦) المحكم والمحيط الأعظم، (٢٢٤/٣), لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.

- **الغم**: الغمُّ هو الكرب(١٧)، وهو من الحزن.
- **الكآبة**: "سوء الهيئة والانْكسار من الحُزن في الوجْه خاصةً"(١٨).
- **الترح**: "ضد الفرح"(١٩).
- **الأسى**: "مقصور الحزن على الشيء أسي يأسى أسى فهو أسيان"(٢٠).
- **الأسف**: "الحزن في حال والغضب في حال"(٢١).
- **الامتعاض**: "امْتَعَضَ منه: غَضِبَ وشَقَّ عليه وأَوْجَعه"(٢٢).
- **البؤس**: من الحزن تقول: "ولا تَبْتَئِسْ أَي لا تحزن ولا تَشْتَكِ"(٢٣).
- **التعاسة**: "التعس الهلاك وأصله الكب وهو ضد الانتعاش"(٢٤).
- **الهم**: "والهمُّ: الحزن"(٢٥).
- **الشقاء**: "ضد السعادة ، يمد ويقصر"(٢٦).
- **الكدر**: "نقيض الصفاء"(٢٧). والصفاء في الحال السعادة والسرور، والكدر ما يغيرها.

---

(١٧) انظر: تهذيب اللغة (٢٨/٨)

(١٨) المحيط في اللغة، (٣٤٤/٦)، للصاحب الكافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، دار النشر: عالم الكتب – بيروت / لبنان – ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين.

(١٩) كتاب العين (١٩٠/٣).

(٢٠) كتاب العين (٣٣٢/٧).

(٢١) كتاب العين (٣١١/٧).

(٢٢) لسان العرب (٢٣٣/٧).

(٢٣) لسان العرب (٢١/٦).

(٢٤) مختار الصحاح، (٣٢/١)، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، دار النشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥ – ١٩٩٥، الطبعة: طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطر.

(٢٥) تهذيب اللغة (٢٤٨/٥).

(٢٦) المحكم والمحسط الأعظم (٥١٥/٦).

(٢٧) كتاب العين (٣٢٥/٥).

- **الكمد:** "أشد الحزن وقد كمد كمداً وأكمده الحزن"(٢٨).

المبحث الأول: دواعي الفرح في القرآن الكريم، وفيه مطلبان

المطلب الأول: الدواعي النفسية للفرح

التعامل مع النفس لابد أن يكون بأبعاد محددة يستطيع الإنسان من خلال هذا التعامل أن يأطر نفسه ويمسك بزمامها، وإن أهملها فإنها ستنساق خلف الشهوات التي قد تهلك صاحبها، لذلك كان الفرح من أهم مطالب النفس، ومن الدوافع العظمى التي تدفع الإنسان للبحث عنه في أي مكان وزمان.

فالحزن متعب للنفس ولمن كان قريبا منها، فنجد الإنسان الحزين في حالة لا تحمد أبدا، بل إن من حوله سيحزنون لحزنه أو سينفرون منه.

وقد نهى النبي ﷺ صاحبه أبا بكر -رضي الله عنه- عن الحزن حيث جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(٢٩)، فأي حال كحالهما، مطاردين قد يظفر بهما العدو في أية لحظة، فيحزن صاحبه خوفا عليه وعلى هذا الدين، فينهاه ﷺ عن الحزن، ثم يطمئن قلبه بأعظم طمأنينة، وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، نعم إن الله معهما بحفظه وعنايته، فمن كان الله معه فلن يحزن ولن يضيع.

يقول الطبري: "﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ﴾ يقول: إذ يقول رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما, فجزع من

(٢٨) كتاب المخصص (٨٩/٤).

(٢٩) سورة التوبة / ٤٠.

ذلك, فقال له رسول الله ﷺ: لا تحزن؛ لأن الله معنا, والله ناصرنا, فلن يعلم المشركون بنا, ولن يصلوا إلينا"(٣٠).

أما عن دواعي الفرح والدوافع النفسية له فقد تعددت مصادرها ومسبباتها، وقد اقتصرت على نماذج رئيسة لهذه الدوافع واستشهدت على كل منها بشواهد من القرآن الكريم، فمثلا:

الدوافع المذمومة:

الغرور: "سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع, وعبر عنه بعضهم بأنه: كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشيطان, وفسر بالدنيا؛ لأنها تغر وتمر وتضر"(٣١).

والغرور خطره كبير، حيث يخدع صاحبه ويجعله يفرح ويتعالى بهذا الفرح، ويظن أنه أن لن يقدر عليه أحد، فهذا قارون عندما أعطاه الله المال، وفتح له الكنوز، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾(٣٢)، وهنا جاءته أعظم نصيحة من قومه حيث قالوا له: ﴿لَا تَفۡرَحۡ﴾، أي: "لا تبغ ولا تبطر فرحا(٣٣)" وهنا بيان أن الفرح كان سببه الغرور والبطر، وهذا البطر والغرور ينسي الإنسان شكر خالقه، يقول مجاهد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ "يعني المتبذخين الأشرين

(٣٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٣٣/١٢) لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥.

(٣١) التوقيف على مهمات التعاريف، (٥٣٧/١) لمحمد عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: دار الفكر المعاصر, دار الفكر – بيروت , دمشق – ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق : د. محمد رضوان الداية.

(٣٢) سورة القصص/ ٧٦.

(٣٣) الطبري (١١١/٢٠).

البطرين, الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم"[٣٤]، وبمثله قال الطبري[٣٥], ولا شك أن من فرح بغرور استجلب حزنا لا انقطاع له، وليس للمؤمن راحة دون لقاء الحق –جل وعز–[٣٦].

وقد يصاب الإنسان بفرح مغرور وذلك عندما يذيقه الله رحمة من عنده ولا يشكره على ذلك، يقول تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾، يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: فإنا إذا أغنينا بن آدم, فأعطيناه من عندنا سعة –وذلك هو الرحمة التي ذكرها جل ثناؤه– ﴿ فَرِحَ بِهَا ﴾ يقول: سر بما أعطيناه من الغنى ورزقناه من السعة وكثرة المال"[٣٧].

ودليل غرور الإنسان في هذا الموضع هو أن الله إن غير عليه انقلب حاله وجحد وكفر بنعمة ربه كما قال: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾، يقول: وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش، ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ يقول: بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته إياه, جحد نعمة الله, وأيس من الخير, ﴿ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾ يقول تعالى ذكره: فإن الإنسان جحود نعم ربه, يعدد المصائب ويجحد النعم[٣٨]. لذلك من لم يشكر في السراء فسوف يكفر في الضراء –إلا من رحم ربك–.

---

(٣٤) تفسير مجاهد، (٤٩٠/٢) لمجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج، دار النشر: المنشورات العلمية – بيروت، تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي.

(٣٥) انظر: تفسير الطبري (١١١/٢٠).

(٣٦) انظر: تفسير التستري، (١١٩/١) لأبي محمد سهل بن عبد الله التستري، دار النشر: دارالكتب العلمية – بيروت – ١٤٢٣ هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود.

(٣٧) تفسير الطبري (٤٤/٢٥). والآية من سورة الشورى/ ٤٨.

(٣٨) انظر: تفسير الطبري (٤٤/٢٥).

وبنحو ما سبق يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[٣٩] , فإذا أصاب الناس خصب ورخاء فرحوا بذلك, وإن تصبهم شدة وقحط وبلاء بما قدمت أيديهم وركبوا من المعاصي, إذا هم يقنطون ويأسون من الفرج[٤٠]. ونظيرها ما جاء في سورة هود قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾[٤١].

وبنحوه ما جاء في سورة الحديد من ذم الفرح والغرور به في قوله:﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[٤٢], وختام الآية وهو قوله: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ يبين أن من فرح في مثل هذا الموقف كان سبب فرحه هو الغرور، والله لا يحب من كان كذلك، يقول الطبري: "والله لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا فخور به على الناس"[٤٣].

وولو أمعنا النظر في خواتيم الآيات السابقة وهي: ﴿ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾ و﴿ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ و﴿ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ و﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾، يتبن لنا جليا أن الله ذمهم بسبب غرورهم وفرحهم بما بين أيديهم ظنا منهم أنه بقوتهم وإرادتهم.

ومن غرور الإنسان بفرحه ما جاء على لسان سليمان –عليه السلام– حين قال الله عنه: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ

(٣٩) سورة الروم/ ٣٦.
(٤٠) انظر: تفسير الطبري (٢١/٤٤).
(٤١) سورة هود/ ١٠.
(٤٢) سورة الحديد/ ٢٣.
(٤٣) تفسير الطبري (٢٧/٢٣٦).

نَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[٤٤] , يقول الطبري: ﴿ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴾ يقول: سليمان – عليه السلام–: ما أفرح بهديتكم التي أهديتم إلي, بل أنتم تفرحون بالهدية التي تُهدى إليكم؛ لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا، وليست الدنيا من حاجتي؛ لأن الله قد مكنني منها, وملكني فيها ما لم يملك أحدا[٤٥]. وبنحوه قال أكثر المفسرين.

الكبر: من الأمور التي ذمها الله تعالى في كتابة فرح المستكبرين، فنجد أن بعض من أوتي نعمة أو جاها أو صحة تكبر وتغطرس على عباد الله وقد يتعالى على دين الله، والكبر مذموم بكل أصنافه إلا أمام الأعداء كما جاء في في قوله ﷺ: (**إنَّ من الْغيْرَة ما يُحبُّ الله –عز وجل– ومنْها ما يبغض الله –عز وجل–, ومنْ الْخُيلَاء ما يُحبُّ الله –عز وجل– ومنْها ما يبغض الله –عز وجل–، فأَمَّا الْغيرَةُ التي يُحبُّ الله –عز وجل– فالْغيرَةُ في الرِّيبَة, وأَمَّا الْغيرَةُ التي يبغض الله –عز وجل– فالْغيْرَةُ في غيْر ريبَة، والاخْتيَالُ الذي يُحبُّ الله –عز وجل– اخْتيَالُ الرَّجُل بنَفْسه عنْدَ الْقتَال وعنْدَ الصَّدَقَة، والاخْتيَالُ الذي يبغض الله –عز وجل– الْخُيلَاء في الْبَاطل**)[٤٦]، والكبر مذموم في القرآن أصلا, فقد ذم الله استكبار الشيطان عن السجدو لآدم فقال: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[٤٧]، وذم كل متكبر كذلك، ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾[٤٨].

(٤٤) سورة النمل/ ٣٦.

(٤٥) انظر: تفسير الطبري (١٥٧/١٩).

(٤٦) أخرجه أبو داود في سننه باب في الخيلاء في الحرب (٥٠/٣) برقم: ٢٦٥٩، واخرجه النسائي في المجتبى، باب الاختيال والصدقة، (٧٨/٥) برقم ٢٥٥٨، وقال الألباني حديث حسن.

(٤٧) سورة البقرة/ ٣٤.

(٤٨) سورة غافر/ ٢٧.

ومما جاء في ذم فرح المستكبرين قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٤٩], يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: فلما جاءت هؤلاء الأمم -الذين من قبل قريش- المكذبة رسلها رسلهم الذين أرسلهم الله إليهم ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ يعني: بالواضحات من حجج الله -عز وجل- ﴿ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾

يقول: فرحوا جهلا منهم بما عندهم من العلم, وقالوا: لن نبعث ولن يعذبنا الله"[٥٠]، وما دعاهم لهذا إلا فرحا بما بين أيدهم من العلم الباطل، واستكبارا على الحق الذي جاءهم.

يقول الزمخشري: كانوا يقولون: لا نُبعث ولا نُعذب، وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الأنبياء، ومنها: أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان، وكانوا إذ سمعوا بوحي الله: دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم. وعن سقراط: أنه سمع بموسى -عليه السلام-، وقيل له: لو هاجرت إليه فقال: نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا[٥١].

ومن كلام الزمخشري يتضح أنهم فرحوا بعلمهم استكبارا على علم الأنبياء -عليهم السلام-، وهذا سقراط يتعالى على موسى -عليه السلام-، ويظن أنه مهذب ولا حاجة له بمن يهذبه.

(٤٩) سورة غافر/ ٨٣.

(٥٠) تفسير الطبري (٢٤/٨٨).

(٥١) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (٤/١٨٧) لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

وهناك رأي لبعض المفسرين عن الفرح في هذه الآية، حيث نسبوه للأنبياء، فقد ذكر الماوردي عدة أقوال لمعنى الفرح هنا ومن ضمنها قوله: "فرحت الرسل بما عندهم من العلم بنجاتهم وهلاك أعدائهم"(٥٢).

والذي يظهر لي من أغلب كلام المفسرين أن الفرح هنا هو فرح أعداء الأنبياء -والله أعلم-.

وإن كنت ذكرت عن قارون أنه كان سبب فرحه غرورا، إلا أنه كذلك كان فيه استكبارا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾(٥٣), حيث إنه عندما حاوره قومه وقالوا له ﴿ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾، وقالوا له: ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾,

ردَّ عليهم استكبارا وعلوا بقوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾، ثم ازداد غطرسة وعلوا: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾، وهذه من عادة الفرحين المستكبرين المتعالين على فضل الله ونعمه، وظن قارون أن الله فضَّله على قومه، يقول الطبري: "قال قارون -لقومه الذين وعظوه-: إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي علمه الله مني, فرضي بذلك عني, وفضلني بهذا المال عليكم, لعلمه بفضلي عليكم"(٥٤).

(٥٢) انظر: النكت والعيون (تفسير الماوردي)، (١٦٥/٥), لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان -, تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

(٥٣) سورة القصص/ ٧٦.

(٥٤) تفسير الطبري (١١٣/٢٠).

ومعنى قول قارون: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ أي: أنني فُضلت بهذا العلم واستوجبت به التفوق عليكم فأصبحت ذا جاه ومال(٥٥). وهذا بيان ودليل على استكباره وعلوه وفرحه بما بين يديه.

الحسد: ومن مسببات الفرح المذموم أيضا الحسد، والحسد حين يتملك نفس صاحبه قد يهلكه، وقد يحسد غيره بالنظرة فيمحق ما أُوتي غيره من النعمة، فإن هلك نعمة غيره بالحسد فرح بذلك أشد الفرح، وهذا الذنب أول ما عصي الله به في السماء، عندما حسد أبليس آدم –عليه السلام– فأخرجه من الجنة، وفرح أشد الفرح بذلك.

قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ (٥٦) الحسد خلق مذموم طبعا وشرعا, قال بعض العلماء: الحسد أول معصية عصى الله بها في السماء والأرض, أما في السماء فحسد إبليس لأدم, وأما في الأرض فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد(٥٧).

ومن الآيات التي تبين فرح الحاسد بمن حسده قوله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝١٢٠ ﴾(٥٨)، وهذا هو حال المنافقين في كل زمان ومكان، لا يريدون لأهل الصلاح أي خير ونجاح، فحالهتم حالة حسد في السراء لأهل الصلاح، والفرح إن أصابتهم ضراء.

---

(٥٥) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، (٣٠٤/٤)، لناصر الدين أبي الخير عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، دار الفكر بيروت.

(٥٦) سورة الناس/ ٥

(٥٧) انظر: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، (٢٢٦/٤), لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر: دار الكتاب العربي – لبنان – ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م، الطبعة : الرابعة.

(٥٨) سورة آل عمران / ١٢٠.

يقول الطبري: يعني بقوله تعالى ذكره: "﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ إن تنالوا أيها المؤمنون سرورا -بظهوركم على عدوكم وتتابع الناس في الدخول في دينكم وتصديق نبيكم ومعاونتكم على أعدائكم- يسؤهم, وإن تنلكم مساءة -بإخفاق سرية لكم, أو بإصابة عدو لكم منكم, أو اختلاف يكون بين جماعتكم- يفرحوا بها"(٥٩).

يقول البيضاوي: "﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ﴾ بيان لتناهي عداوتهم إلى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة, وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة"(٦٠).

وفي الآية بين الله -عز وجل- علاج حسد المنافقين ورد كيدهم في نحورهم وذلك في قوله: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ فالصبر من أقوى ما يلاقي به المؤمن أعدائه، مهما كانت شدة العداوة، فمن صبر على كيد الكائدين فإنه لا يضره كيدهم -كما قال ربنا-.

يقول الطبري: "ويعني بكيدهم: غوائلهم التي يبتغونها للمسلمين, ومكرهم بهم ليصدوهم عن الهدى وسبيل الحق"(٦١).

وهنا لابد أن نعلم أه عداء المنافقين لا ينتهي أبدا؛ لأن أصل عدائهم حسد للمؤمنين, يقول الشاعر: كل العداوة قد تُرجى إماتتها إلا عداوةَ من عاداك من حسد(٦٢).

(٥٩) تفسير الطبري (٦٧/٤).
(٦٠) تفسير البيضاوي (٨٦/٢).
(٦١) تفسير الطبري (٦٨/٤).
(٦٢) نُسب هذا البيت لابن المبارك، انظر: العقد الفريد، (١٦٠/٢)، لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت /لبنان – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، الطبعة: الثالثة

الدوافع المحمودة:

الرضا: ضد السخط، وهو ثمرة من ثمرات المحبة، فمن رضي فله الرضا كما جاء في الحديث قوله ﷺ: (**إنَّ عظَمَ الجزَاءِ مع عظَمِ البَلَاءِ وإنَّ اللَّهَ إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم فمن رضي فلَهُ الرضا ومن سخطَ فلَهُ السخطُ**)(٦٣).

لذا نجد أن الرضا لا يكون إلا مع راحة نفس وقناعة وتسليم، وهذا لا شك أنه ينعكس على النفس بالفرح والسرور؛ لأن غير الراضي سيكون حزينا لعدم القناعة.

ومن الآيات التي تدل على فرح الراضين قوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾(٦٤)، وأي رضا يورث فرحا كهذا الرضا، فبرسالة محمد ﷺ، وبالإسلام, وبما تفضل الله به على المسلمين تكون قمة الرضا والسعادة، فذلك خير مما بأيدي الكفار من حطام الدنيا الزائل.

يقول الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: بك وبما أنزل إليك من عند ربك بفضل الله أيها الناس الذي تفضل به عليكم وهو الإسلام, وبرحمته التي رحمكم بها, فأنزلها إليكم فعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه وذلك القرآن, ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ يقول: فإن الإسلام الذي دعاهم إليه, والقرآن الذي أنزله عليهم, خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها(٦٥).

وقد ذكر المفسرون عدة أقوال لفضل الله وعدة أقوال لرحمته فقالوا:

---

(٦٣) أخرجه الترمذي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، (٦٠١/٤)، باب ما جاء في الصبر على البلاء، لمحمد ابن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي برقم: ٢٣٩٦.

(٦٤) سورة يونس/ ٥٨.

(٦٥) انظر: تفسير الطبري (١٢٤/١١).

قيل فضل الله: القرآن، أو الإسلام، أو النعم الظاهرة، أو ما أعطى وحبى، أو التوفيق، أو الإيمان، أو دخول الجنة، أو كشف الغطاء يوم القيامة.

وقيل رحمته: أن جعلكم من أهل القرآن الكريم، أو أنه زين الإسلام في قلوبكم، أو السنة، أو النعم الباطنة، أو الآلاء وما صرف من الشر عن الإنسان، أو العصمة، أو الجنة، أو النجاة من النيران، أو رؤية وجه الله ولقائه(٦٦).

وذكر صاحب زاد المسير قولا آخر مع ما سبق من أقوال، فقال: أن فضل الله العلم، ورحمته محمد ﷺ(٦٧).

ومن آيات الرضا كذلك قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾(٦٨)، في مطلع هذه السورة الكريمة بشارة عظيمة للنبي ﷺ وصحبه، فقد بشر الله بهلاك أمتين كانتا أعظم وأقوى الأمم في ذلك الزمان، وجاءت بشارة ربنا -تبارك وتعالى- بتدريج يظهر فيه كيف أنه سبحانه يمهل ولا يهمل، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾(٦٩).

(٦٦) وقد ذكر هذه الأقوال الثعلبي في تفسيره، انظر: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، (٥/١٣٥)، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان --٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.

(٦٧) انظر: زاد المسير في علم التفسير، (٤/٤٠)، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤، الطبعة: الثالثة.

(٦٨) سورة الروم/ ١-٤.

(٦٩) سورة هود/ ١٠٢.

وفي بادية الأمر كانت الغلبة لفارس على الروم، يقول الطبري: تأويل الكلام غلبت فارس الروم في أدنى الأرض من أرض الشام إلى أرض فارس(٧٠).

ولا شك أن غلبة الروم كانت محزنة للمسلمين، يقول مقاتل بن سليمان: "أقتتل الروم وفارس فهزمت الروم، فبلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه فشق عليهم وهم بمكة، وفرح الكفار وشمتوا"(٧١).

ولكن ما لبثت هذه الفرحة للكفار طويلا, يقول مقاتل: قال الكفار للصحابة: إنكم أهل كتاب، والروم أهل كتاب, فقد ظهر إخواننا أهل فارس على إخوانكم من الروم, فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ ﴾(٧٢).

وهنا يبين الله أن المدة ليست بالطويلة حتى ينقلب الحال وتنتصر الروم على فارس، وحينها يفرح المؤمنون بهذا النصر، يقول الطبري: ﴿ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾, يقول: والروم من بعد غلبة فارس إياهم سيغلبون فارس, ﴿ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ من قبل غلبتهم فارس, ومن بعد غلبتهم إياها, يقضي في خلقه ما يشاء(٧٣).

﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾, وهنا الفرحة ليست مقتصرة على انتصار الروم على فارس، وإنما يفرحون بنصرتهم على المشركين، يقول الطبري: "ويوم يغلب الروم فارس, يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصر الله إياهم على المشركين, ونصرة الروم على فارس

(٧٠) انظر: تفسير الطبري (١٦/٢١).

(٧١) تفسير مقاتل بن سليمان، (٣/٣), لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد فريد.

(٧٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٣)

(٧٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/٢١).

ينصر الله تعالى ذكره من يشاء من خلقه على من يشاء, وهو نصرة المؤمنين على المشركين ببدر... (٧٤)".

ولا شك أن الفرح في هذا الموطن ما هو إلا فرح رضا بما كتبه الله، ففي بادئ الأمر كان الفرح للمشركين, لكن ثقة المؤمنين بربهم كبيرة، ورضاهم بما كتب كان أكبر، ثم ما أن لبث أن أبدل الله فرح المشركين حزنا، وأفرح المؤمنين وأرضاهم بأن جعل الغلبة أول الأمر للروم، ثم جعل الغلبة للمؤمنين على المشركين في أعظم واقعة في تاريخ الإسلام وهي غزوة بدر الكبرى.

يقول الماوردي: "وفي فرحهم بذلك ثلاثة أوجه: أحدها: تصديق خبر الله وخبر رسول الله ﷺ. الثاني: لأنهم أهل كتاب مثلهم. الثالث: لأنه مقدمة لنصرهم على المشركين"(٧٥).

المطلب الثاني: الدواعي الاجتماعية للفرح

لا شك أن الدواعي الاجتماعية والنفسية لها تاثير في حياة الإنسان وتقلب أحواله من الفرح والحزن والسعادة والشقاوة، فكل ما يحدث في حياة الإنسان -خاصة إن كان ممن تعلق قلبه بالدنيا- مغير لطبيعته وحالته النفسية، فالمال والأكل وملذات الحياة لها انعكاس على النفس بالبهجة والسرور، وفقدها يورث الغم والحزن على النفس، هذا خلاف من تعلق قلبه بخالقه، وأيقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطئه لم يكن ليصيبه، فتجده راضيا شاكرا في السراء والضراء؛ ليقينه بما هو عند الله خير وأبقى قال تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ ﴾(٧٦).

(٧٤) انظر: تفسير الطبري (١٦/٢١).

(٧٥) النكت والعيون للماوردي (٢٩٩/٤).

(٧٦) سورة القصص/ ٣٦.

لذا سأختار بعض الأسباب الاجتماعية التي تدعو إلى الفرح ومنها:

النصر وهزيمة المخالف: وهذا -كما مر بنا في مطلع سورة الروم- في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾(٧٧)، وهنا نجد أن الفرح والحزن كان متبادل بين المشركين والمسلمين، ففي بادئ الأمر كانت الغلبة لفارس -المجوس الذين لسوا أهل كتاب- على الروم النصارى أهل الكتاب، وكان ذلك فرحا للمشركين، ثم انقلبت الكفة لصالح الروم أهل الكتاب فغلبت فارس وكان ذلك فرحا للمسلمين.

روي الطبري عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: التقينا مع محمد رسول اللهﷺ ومشركي العرب, والتقت الروم وفارس, فنصرنا الله على مشركي العرب, ونصر الله أهل الكتاب على المجوس, ففرحنا بنصر الله إيانا على المشركين, وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب على المجوس, فذلك قوله: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾(٧٨).

البطر: يقول ابن القيم: "إن حدوث النعم توجب فرح النفس وانبساطها وكثيرا ما يجر ذلك إلى الأشر والبطر"(٧٩).

ومثال البطر -عند حدوث النعم- ما حصل مع قارون عندما وهبه الله الكنوز فلم يعترف بذلك وظن أنه من ذكاءه وفطنته وأن الله فضله على الناس -وقد سبق الكلام عن

(٧٧) سورة الروم/ ١-٤.

(٧٨) انظر: تفسير الطبري (١٧/٢١).

(٧٩) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، (١١٢)، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: زكريا علي يوسف.

ذلك عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾- (٨٠).

الترف: وهو من أسباب الفرح التي تنسي الإنسان شكر ربه، فكلما ازداد ترف الحياة ونعيمها ازدادت غفلة الإنسان عن ربه -عز وجل-، لذا وعد الله في كتابه بوعد فقال: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾، وهذا وعد رباني بالزيادة لمن شكر، والعذاب لمن كفر وأنساه الترف شكر ربه.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾(٨١)، يقول الطبري: "﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، يقول تعالى ذكره: وفرح هؤلاء الذين بسط لهم في الدنيا من الرزق -على كفرهم بالله ومعصيتهم إياه- بما بسط لهم فيها, وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم"(٨٢).

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(٨٣), وفي هذه الآية يبين الله حال من غفل عن ذكر ربه وشكره أنه أمهلهم ومد لهم في الحياة مدا، وفتح لهم أبواب الدنيا ونعيمها، وهنا وقفة لابد أن ننتبه لها وهي: أن الله قد يفتح للناس أبواب الخير، فلابد أن نفرق بين من أعطاه الله وهو راضٍ عنه وبين من أعطاه استدراجا منه، والفرق بين الفريقين هو أن الأول شاكر والآخر ناكر غير شاكر.

---

(٨٠) سورة القصص/ ٦٧.

(٨١) سورة الرعد/ ٢٦.

(٨٢) تفسير الطبري (١٣/١٤٤).

(٨٣) سورة الأنعام/ ٤٤.

يقول الطبري: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾، فلما تركوا العمل بما أمرناهم به على ألسن رسلنا". ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾, يقول: بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في العيش, ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام؛ استدراجا منا لهم(٨٤).

وهنا نجد أن الله يملي للظالم ويفتح عليه ماديا ومعنويا، فيفتح له أبواب الدنيا، وهذا هو الفتح المادي، ثم يجعله يفرح بما بين يديه، وهذا هو الفتح المعنوي، لكن لابد أن نلحظ أن ثمة أبواب لم تفتح لهم، كباب التوبة والرحمة والتضرع لله.

ولعله يرد إشكالا على من يقرأ قوله تعالى: ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾، فما الجواب على هذا؟.

يقول الطبري: "فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ وقد علمت أن باب الرحمة وباب التوبة لم يفتح لهم, وأبواب أخر غيره كثيرة؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننت من معناه, وإنما معنى ذلك: فتحنا عليهم استدراجا منا لهم أبواب كل ما كنا سددنا عليهم بابه عند أخذنا إياهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا إذ لم يتضرعوا وتركوا أمر الله"(٨٥).

وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ ﴾، هنا يقول الله أنهم ﴿ فَرِحُوا۟ ﴾ أي أن الله أفرحهم بما مدَّ لهم وذلك لتعقبه حسرةً عند فقدهم لما أعطاهم الله، فالحسرة تكون أشد بعد الفرح، ثم عقب بقوله: ﴿ بِمَآ أُوتُوٓا۟ ﴾ وفيه بيان أن الذي أعطاهم هو الله وليس ذلك من قوتهم.

(٨٤) انظر: تفسير الطبري (١٩٣/٧).

(٨٥) تفسير الطبري (١٩٣/٧).

المبحث الثالث: أصناف الفرحين

هنا مدار البحث عن الفرح ودوافعه، حيث إنني سأتحدث عن من هم الفرحين الذين يشملهم البحث، لذلك قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، كل مطلب يتحدث عن صنف من أصناف الفرحين، وجاء على النحو التالي:

المطلب الأول: فرح الكافرين

لاشك أن كل إنسان في هذه الدنيا يمر بحالة من الفرح والترح، مهما تنوعت حالة هذا الإنسان، سواء كان غنيا أو فقيرا، ذكرا أو أنثى، مسلما أو كافرا.

وهنا الحديث عن فرح الكافرين، وهو فرح محدود جدا كما قال تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(٨٦)، وإن كانت الآية تتحدث عن المنافقين، ولكنها تبين أن فرحهم قليل مقابل الحزن والبكاء الذي سينالونه إن لم يتداركهم الله برحمة.

وقد ذكر الله -تبارك وتعالى- فرح الكافرين في عدة آيات من القرآن الكريم، سأتناولها وأذكر ما قاله فيها الإمام الطبري وما يحتاج من كلام المفسرين عنها.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٨٧)، وهنا يبين لنا ربنا حال من ترك كلام الله وراء ظهره، وعصى أمر رسله، ثم بعد ذلك يمد له ربنا في العطاء والخير، ويفتح له أبواب كل شي، هنا يغتر الإنسان ويظن أنه قادر على الدنيا, وأن ما فيه كان من قوته وذكائه، كما قال عنهم ربنا: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ

(٨٦) سورة التوبة/ ٨٢.

(٨٧) سورة الأنعام/ ٤٤.

ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٨٨).

وعندما يستقر حال هذا الكافر الجاحد لنعم ربهم, العاصي لرسله، يفرح بما بين يديه كما قال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾، يقول الطبري: "ويعني تعالى بقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ ﴾, يقول: حتى إذا فرح هؤلاء المكذبون رسلهم بفتحنا عليهم أبواب السعة في المعيشة والصحة في الأجسام, ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾, أتيناهم بالعذاب فجأة وهم غارون لا يشعرون أن ذلك كائن ولا هو بهم حال, ثم قال: ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾, فإنهم هالكون, منقطعة حججهم, نادمون على ما سلف منهم من تكذيبهم رسلهم(٨٩).

وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ ذكر الماوردي خمسة أقوال لمعنى الإبلاس وهي: أحدها: أن الإبلاس هو الإياس, والثاني: أنه الحزن والندم، والثالث: الخشوع, والرابع: الخذلان, والخامس: السكوت وانقطاع الحجة(٩٠).

وعلى أي معنى كان الإبلاس إلا أنه بيان للحسرة والندم على ما فرطوا في جنب الله.

ومن الآيات الدالة على فرح الكافرين قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ

(٨٨) سورة يونس/ ٢٤.

(٨٩) انظر: تفسير الطبري (١٩٤/٧).

(٩٠) انظر: النكت والعيون للماوردي (١١٤/٢).

﴿ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٩١], وهنا يبين الله حال الناس بصفة عامة حين السراء يتمالكهم الفرح فينسي البعض منهم شكر ربه، بل ويتمادى في طغيانه، وهذا قد يحصل للمسلم وغير المسلم، وفي هذه الآية ضرب مثل لذلك، ولكن الأمر يخص الكافرين حين يركبون البحر، فتجري بهم السفينة بريح طيبة، فيفرحوا بذلك، يقول الطبري: يفرح ركبان الفلك بالريح الطيبة التي يسيرون بها, والهاء في قوله: ﴿ بِهَا ﴾ عائدة على الريح الطيبة.

بعد ذلك يتبدل الحال من السراء إلى الضراء، فيأتي بدل الريح الطيبة ريح عاصف، والعرب تقول: ريح عاصف وعاصفة، وهي الريح الشديدة العاتية، حينها تتلاطم الأمواج حتى تصبح كالجبال، ولا منجا ولا مفر من الله إلا إليه؛ لأنهم ظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، والظن هنا بمعنى تيقنوا، فلا آلهتهم تنفع ولا الأصنام تفزع.

﴿ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾, يقول الطبري: "أخلصوا الدعاء لله هنالك دون أوثانهم وآلهتهم, وكان مفزعهم حينئذ إلى الله دونها"[٩٢].

وهنا تأتي الوعود الكاذبة فيقولون: ﴿ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾، والله تعالى أعلم بحالهم وبما يضمرونه في أنفسهم، فينجيهم لقدرهم الذي قدره لهم، بعدها يعودون لما كانوا عليه كما قال: ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾، وهنا يتضح حالهم، ويظهر كفرهم.

(٩١) سورة يونس/ ٢٢.

(٩٢) تفسير الطبري (١١/١٠٠).

ومن الآيات التي تذكر فرح الكافرين، قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦ ﴾(٩٣)، وهنا لفتة لابد أن نعرفها وهي: أن الله تعالى يقبض ويبسط، فيقبض الرزق ويبسطه، ويقبض العلم ويبسطه، ويقبض الدين ويبسطه، لذلك لابد أن يعلم الإنسان أن أحوال الله تتقلب، وأن لابد أن يكون بين الشكر والصبر، فلا ينسى ولا يطغى ولا يجزع فيكفر والعياذ بالله.

قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ ﴾ فيه بيان أن بعض عباد الله من لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقره لأفسده، ومنهم من لا يصلحه إلا الفقر, ولو أغناه لأفسده, يقول ابن تيمية: "قد يكون الفقر لبعض الناس أنفع من الغنى والغنى أنفع لآخرين"(٩٤).

قوله: "﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ يقول تعالى ذكره: وفرح هؤلاء الذين بسط لهم في الدنيا من الرزق –على كفرهم بالله ومعصيتهم إياه– بما بسط لهم فيها, وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم"(٩٥).

ولكن هذا الفرح لن يدوم طويلا؛ لأن الحياة الدنيا قصيرة، والآخرة خير وأبقى.

ومن فرحهم أيضا قوله تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ ﴾(٩٦)، يقول الطبري: قوله: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾، قال: هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب, كل معجبون برأيهم, ليس

(٩٣) سورة الرعد/ ٢٦.

(٩٤) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (١١/١٢٠), لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي

(٩٥) تفسير الطبري (١٣/١٤٤).

(٩٦) سورة المؤمنون/ ٥٣.

أهل هواء إلا وهم معجبون برأيهم وهواهم وصاحبهم الذي اخترق ذلك لهم، وقوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ يقول: كل فريق من تلك الأمم بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب فرحون معجبون به, لا يرون أن الحق سواه(٩٧).

وهنا يتحدث الله عن حال الناس بعدما كان دين الله واحدا، قطعوه وفرقوه وجعلوه أديانا متفرقة، كل معجب برأيه، ولا يرى الحق عند غيره، فغيروا وبدلوا كلام الله وحرفوا كتبه، فرضوا بما عندهم من العلم, فضلوا وأضلوا.

ومن فرحهم أيضا ما قال عنهم -سبحانه وتعالى-: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾(٩٨), وهذه الآية تحكي نفس الحال السابقة، فقد فرق الناس وبدلوا وغيروا، ولكنها خصت المشركين بذلك، يقول الطبري: وقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ يقول: ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم وخالفوه ففارقوه, ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ يقول: وكانوا أحزابا فرقا كاليهود والنصارى، وقوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ يقول: كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحق -فأحدثوا البدع التي أحدثوا- بما لديهم فرحون(٩٩).

وأيضا قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾, وهذا خطاب من الملئكة للكفار يوم القيامة، فيقولون لهم: إن العذاب سيحل عليكم بسبب ما كنتم فيه من البطر والأشر والفرح والمرح في الدنيا.

(٩٧) تفسير الطبري (١٨/٣٠).

(٩٨) سورة الروم/ ٣٢.

(٩٩) تفسير الطبري (٢١/٤٢-٤٣).

وقيل: ﴿تَفْرَحُونَ﴾ و ﴿تَمْرَحُونَ﴾ من باب التجنيس المحرف، وهو أن يقع الفرق بين اللفظين بحرف(١٠٠). والحرفان هما الفاء والميم.

ويقول الطبري: "يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ هذا الذي فعلنا اليوم بكم -أيها القوم من تعذيبنا كم العذاب الذي أنتم فيه- بفرحكم الذي كنتم تفرحونه في الدنيا بغير ما أذن لكم به من الباطل والمعاصي, وبمرحكم فيها, والمرح هو الأشر والبطر"(١٠١).

ولو استعرضا كل الآيات التي تتكلم عن فرح الكفار لوجدنا أن فرحهم مؤقت، وله نهاية ينتهي عندها، فلو عاش الكافر مهما عاش في الدنيا, فإن له نهاية وأجل ينهي فيه سروره وفرحه، ثم يندم أشد الندم على ما كان من فرح وبطر وأشر في الدنيا.

وسوف تتلقاهم ملائكة العذاب لتذكرهم بأن فرحهم ومرحهم عاقبته العذاب الشديد، وأن كفرهم وتكذيبهم هو ما أوردهم النار، قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾(١٠٢).

(١٠٠) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٤٩٩/٩)، لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، دار النشر: دار القلم - دمشق - ١٤٠٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط.

(١٠١) تفسير الطبري (٨٥/٢٤).

(١٠٢) سورة الملك/ ٨-١١.

المطلب الثاني: فرح المنافقين

والمنافقون كعادتهم يكنون كل البغض للمسلمين، فتراهم لا يفرحون إلا بما يُحزن المسلمين، رغم ما يبدون لهم من الود الكاذب.

وقد وصفهم الله بأنهم هم الأعداء الحقيقيون، فقال: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾[١٠٣].

ومن الآيات التي تتحدث من فرح المنافقين قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾[١٠٤]، وقد وقع خلاف في تفسير المعنيين بهذه الآية، فمنهم من قال قصد الله بها اليهود.

يقول مجاهد في قوله: "﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا ﴾ وهم اليهود, فرحوا بإعجاب الناس وتبديلهم الكتاب, ﴿ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا ﴾ يقول: يحبون أن يحمدهم الناس عليه ﴿ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ يقول: نهوى ذلك ولن نفعله"[١٠٥].

ومنهم من قال أن الله يقصد بها قوم من المنافقين كانوا يتخلفون عن رسول الله ﷺ ويحتالون عليه بالأعذار، ويفرحون بما كذبوا به على رسول الله ﷺ، وما علموا أن الله فاضح أمرهم وكاشف سرهم.

---

(١٠٣) سورة المنافقون/ ٤.

(١٠٤) سورة آل عمران/ ١٨٨.

(١٠٥) تفسير مجاهد (١/١٤١).

يقول الطبري: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: عني بذلك قوم من أهل النفاق, كانوا يقعدون خلاف رسول الله ﷺ إذا غزا العدو, فإذا انصرف رسول الله ﷺاعتذروا إليه, وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

وذكر كذلك أن أخرون قالوا: عني بذلك قوم من أحبار اليهود, كانوا يفرحون بإضلالهم الناس, ونسبة الناس إياهم إلى العلم(١٠٦).

ورجح الطبري القول بأن هذه الآية تعني أهل الكتاب وهم اليهود، وعلل ذلك بسياق الآيات فقال: "وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ ﴾... الآية، قول من قال عني بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله -جل وعز- أنه أخذ ميثاقهم ليبينن للناس أمر محمد ﷺ ولا يكتمونه؛ لأن قوله: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ ﴾...الآية, في سياق الخبر عنهم, وهو شبيه بقصتهم, مع اتفاق أهل التأويل على أنهم المعنيون بذلك"(١٠٧).

وذكر السمرقندي عن الضحاك قوله: "إن اليهود كانوا يقولون للملوك: إنا نجد في كتابنا أن الله يبعث نبيا في آخر الزمان يختم به النبوة, فلما بعثه الله, سألهم الملوك: أهو هذا الذي تجدونه في كتابكم؟ فقالت اليهود -طمعا في أموال الملوك-: هو غير هذا, فأعطاهم الملوك مالا, فقال الله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ ﴾ يعني بما أعطاهم الملوك"(١٠٨).

(١٠٦) انظر: تفسير الطبري (٤/٢٠٥).

(١٠٧) تفسير الطبري (٤/٢٠٨).

(١٠٨) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، (١/٢٩٧)، لنصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار النشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.

ومن الآيات التي تتحدث عن فرح المنافقين قوله تعال: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾(١٠٩)، هذه الآية الكريمة تتحدث عن رجل من المنافقين يقال له الجد بن قيس(١١٠)، وكان هذا الرجل من المنافقين، ولكنه تاب وصلحت توبته، وهذا الرجل وغيره كان يسوؤهم نصر المسلمين ويفرحهم هزيمتهم.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد إن يصبك سرور بفتح الله عليك أرض الروم في غزاتك هذه يسؤ الجد بن قيس ونظراءه وأشياعه من المنافقين، وإن تصبك مصيبة بفلول جيشك فيها يقول الجد ونظراؤه: ﴿ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ﴾: أي قد أخذنا حذرنا بتخلفنا عن محمد, وترك اتباعه إلى عدوه, ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ يقول: من قبل أن تصيبه هذه المصيبة"(١١١).

وهنا يتباهي المنافقون وأشياعهم بتخلفهم عن رسول الله ﷺ حين يصاب هو وجيشه بمصيبة، فيتولون وهم فرحون بنجاتهم وبما أصاب محمدا وأصحابه.

---

(١٠٩) سورة التوبة/ ٥٠.

(١١٠) الجد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن تميم بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارى السلمى, يكنى أبا عبد الله, كان ممن يغمص عليه النفاق من أصحاب رسول الله ﷺ ثم حسنت توبته, ساد بنى سلمة, فأخره النبي ﷺ عن السؤدد لبخله وقدم عمرو بن الجموح, مات زمن عثمان. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (٢٦٦/١)، ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، دار النشر: دار الجيل – بيروت – ١٤١٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي. وانظر: المقتنى في سرد الكنى، (٣٤٩/١)، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، دار النشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة – المدينة المنورة – السعودية – ١٤٠٨هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد. وانظر: الوافي بالوفيات، (٤٨/١١)، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار النشر: دار إحياء التراث – بيروت – ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى.

(١١١) تفسير الطبري (١٤٩/١٠).

وقيل: قصد بالحسنة يوم بدر، وبالسيئة يوم أحد(١١٢). وهذا القول مرجوح؛ لأن جمهور المفسرين على أن الحسنة: النصر والغنيمة، والمصيبة: الهزيمة والقتل.

وكان فرح المنافقين بما أصاب محمدا ﷺ وأصحابه من الانهزام والقتل، لكن الله -تبارك وتعالى- قد رد عليهم برد يردعهم ويبرد على قلوب المؤمنين فقال: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾(١١٣)، فيبين أن ما أصابهم من الهزيمة والقتل إنما هو بقضاء الله وقدره, ثم أمرهم بالتوكل عليه في كل الأحوال، فمن توكل على الله كفاه ووقاه.

وأيضا يقول الله عن المنافقين: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾(١١٤), وهي تحكي نفس الحال السابقة عن تخلف المنافقين عن رسول الله ﷺ, وليس الأمر في التخلف فقط, ولكنهم فرحوا بذلك, وكرهوا أن يجاهدوا مع رسول الله ﷺ لا بالمال ولا بالنفس.

بل ويبررون عدم مشاركتهم الجهاد بالحر الشديد ويحبطون غيرهم عن أعظم غنيمة وعن ذروة سنام الإسلام.

---

(١١٢) انظر: النكت والعيون للماوردي (٢/٢٧٠). وممن قال بهذا القول العز بن عبد السلام، وتفسيره اختصار للماوردي، كذلك ذكر هذا القول أبو حيان في: تفسير البحر المحيط، (٥/٥٢), لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د. زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل.

(١١٣) سورة التوبة/ ٥١.

(١١٤) سورة التوبة/ ٨١.

وذكر أهل التفسير أن هذه الآية تعني حال من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقد كانت في الصيف, والحرُّ شديد، ففرح من تخلف عنهم وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ في منازلهم، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وآثروا الراحة والدعة على نصرة دين الله، وقد استنفرهم رسول الله ﷺ في الصيف -كما سبق- والجو حار لغزوة تبوك، فمع الحر كان بعد السفر، فقالوا لبعضهم البعض ﴿ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ﴾، فرد الله عليهم بعبارة قاسية مؤلمة لمن كان يفهم ويفقه كلامه بقول: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾، أي قل لهم يا محمد: إن نار الله التي أعدها لمن عصاه هي أشد حرا من هذا الحر الذي أنتم فيه, ولكن لا قلوب لهم ليفقهوا هذا الكلام(١١٥).

والكلام عن كلمة: ﴿ خِلَٰفَ ﴾ يقول الطبري: "خلاف: مصدر من قول القائل: خالف فلان فلانا فهو يخالفه خلافا, فلذلك جاء مصدره على تقدير فِعال كما يقال: قاتله فهو يقاتله قتالا, ولو كان مصدرا من خلفه لكانت القراءة: (بمقعدهم خلف رسول الله)؛ لأن مصدر: خلفه خلف لا خلاف"(١١٦).

وذكر ابن عطية: "أن ﴿ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ لفظ يقتضي تحقيرهم, وأنهم الذين أبعدهم الله من رضاه, وهذا أمكن في هذا من أن يقال: (المتخلفون), ولم يفرح إلا منافق, فخرج من ذلك الثلاثة وأصحاب العذر"(١١٧).

وفي قوله: ﴿ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ﴾ قولان

(١١٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/٢٠٠-٢٠١).

(١١٦) تفسير الطبري (١٠/٢٠٠).

(١١٧) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣/٦٥)، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة: الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

الأول: أنه قول بعضهم لبعض, قاله: ابن اسحاق ومقاتل.

الثاني: أنهم قالوه للمؤمنين, وإنما قالوا هذا؛ لأن الزمان كان حينئذ شديد الحر(١١٨).

وقد عقب الله على فرحهم أنه قليل منقطع وأن حزنهم دائم مستمر بقوله: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(١١٩), فأي فرح في معصية الله فهو قليل منقطع، ينتهي بنهاية وقته أو نهاية أجل هذا الفرِح، ثم يعقبه حزن وبكاء شديد في نار جهنم ولات حين مناص.

وهنا جاء الكلام على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره،(١٢٠) ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ ﴾ و ﴿ وَلْيَبْكُوا۟ ﴾.

المطلب الثالث: فرح المؤمنين

وإن لم يفرح المؤمن ويجد السعادة في نفسه فمن ذا الذي يفرح؟ ومن ذا الذي سيجد راحة البال وسعة الصدر التي لا يجدها الكثير من الناس؟، فالمؤمن جنته في صدره، لا يستطيع أحد أن ينازعه إياها, بل إنهم لا يعلمون بما في قلبه من السعادة، ولو علموا لجالدوهم عليها بالسيوف، يقول إبراهيم بن أدهم(١٢١): "لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن

(١١٨) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٤٧٨/٣).

(١١٩) سورة التوبة/ ٨٢.

(١٢٠) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤٤٨/١)، لعلي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، دار النشر: دار القلم, الدار الشامية – دمشق , بيروت – ١٤١٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: صفوان عدنان داوودي.

(١٢١) إبراهيم بن أدهم بن منصور, الزاهد, أبو إسحاق, ويروى عن أبي إسحاق السبيعي, روى عنه الثوري وبقية بن الوليد, أصله من بلخ, ثم انتقل –بعد أن تاب وترك الإمارة– إلى الشام طلبا للحلال, فأقام بها مرابطا غازيا يصبر على الجهد الجهيد والفقر الشديد والورع الدائم والسخاء الوافر إلى أن مات في بلاد الروم سنة إحدى وستين ومائة. انظر: الثقات، (٢٤/٦)، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٣٩٥ – ١٩٧٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد. وانظر: مشاهير علماء الأمصار، (١٨٣),

فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب"(١٢٢).

ثم إن فرح غير المؤمن في الدنيا وذاق لذيذ عيشها فإن هذا الفرح لا يدوم طويلا، بل تغالبه أحيان كثيرة نكد الدنيا وغمها، ثم نهاية لا مفر منها وهي الموت، وماذا بعد الموت؟ فما أعده الله للمؤمن من النعيم يجعله عند انتظاره في فرح وسعادة؛ لأن ما عند الله خير وأبقى.

وعندها سيسخر المؤمن ممن كانوا يسخرون منه في الدنيا، قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾(١٢٣), ولا يظلم ربك أحدا، فالجزاء من جنس العمل.

يقول الطبري: "وكان ابن عباس يقول: إن السور الذي بين الجنة والنار يفتح لهم فيه أبواب فينظر المؤمنون إلى أهل النار, والمؤمنون على السرر ينظرون كيف يعذبون, فيضحكون منهم, فيكون ذلك مما أقر الله به أعينهم كيف ينتقم الله منهم"(١٢٤). ومن فرح المؤمنين ورضاهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾، وقد سبق الكلام عن هذه الآيات في مبحث دافع الرضا.

لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٥٩، تحقيق: م. فلايشهمر.

(١٢٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٣٧١/٧), لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥، الطبعة : الرابعة. وذكرها أيضا: البيهقي في كتاب الزهد الكبير، (٨١), لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي، دار النشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – ١٩٩٦، الطبعة: الثالثة، تحقيق: عامر أحمد حيدر.

(١٢٣) سورة المطففين/ ٣٤-٣٦.

(١٢٤) تفسير الطبري (١١١/٣٠).

ومن آيات فرح المؤمن كذلك قوله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[١٢٥], وهذه الآية تتحدث عن حال الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، حيث إن الآية السابق لها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾، يقول الطبري: "﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ ولا تظنن، وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يعني الذين قتلوا بأُحد من أصحاب رسول الله, ﴿ أَمْوَٰتًۢا ﴾ يقول: ولا تحسبنهم يا محمد أمواتا لا يحسون شيئا ولا يلتذون ولا يتنعمون, فإنهم أحياء عندي متنعمون في رزقي فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي وحبوتهم به من جزيل ثوابي وعطائي"[١٢٦].

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: **(الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ نَهْرٍ –بِبَابِ الْجَنَّةِ–، فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا)**[١٢٧].

وفرحتهم في قوله: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أنهم لقوا ما أعد الله له من النعيم المقيم، ويتمنون أن إخوانهم الذين على نهجهم من دعوة وجهاد أعداء الله لو يعلمون بما فيه من النعيم المقيم.

﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾، أي: ويفرحون بمن لم يلحق بهم من إخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من جهاد أعداء الله مع

(١٢٥) سورة آل عمران/ ١٧٠.

(١٢٦) تفسير الطبري (٤/١٧٠).

(١٢٧) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٣٩٠), وابن حبان في صحيحه برقم: (٤٦٥٨), والطبراني في الأوسط برقم: (١٢٣)، وقال الألباني حديث حسن, المصدر: صحيح الموارد برقم: (١٣٣٤).

رسوله لعلمهم بأنهم إن استشهدوا فلحقوا بهم صاروا من كرامة الله إلى مثل الذي صاروا هم إليه(١٢٨).

وقد يرد سؤال وهو: كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾، وبين قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ في قصة قارون؟

والجواب: أنه لا تعارض بينهما، فقصة قارون تتكلم عن لذة الدنيا ونسيان شكر الله تعالى، ومن فعل مثل ما فعل قارون فإن الله لا يحب الفرحين في هذا الموضع، إما فرح الشهداء فهرو في الآخرة عند الله، وفرحهم كان بسبب ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم المقيم.

وأي فرح يكون كفرحهم، وأي فوز يكون كهذا الفوز؟، لذلك كان فرحهم برحمة الله وبفضله كما أمر في قوله: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

ومن آيات فرح المؤمن قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾(١٢٩)، وهنا يتحدث الله -سبحانه وتعالى- عن أهل الكتاب الذين آمنوا بالنبي ﷺ، فقال: ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أي إنهم يفرحون بما أنزل على النبي ﷺ من القرآن وهو مؤيد لما عندهم من العلم، ومنهم الأحزاب الذين تحزبوا ضد النبي ﷺ وأصحابه فينكرون ما جاء به القرآن الكريم.

(١٢٨) انظر: تفسير الطبري (٤/١٧٤).

(١٢٩) سورة الرعد/ ٣٦.

يقول الطبري: "﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ قال: هذا من آمن برسول الله ﷺ من أهل الكتاب, فيفرحون بذلك, وقرأ: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦ ﴾(١٣٠)".

وقيل: إن الذين يفرحون هم أصحاب محمد ﷺ حيث إنهم يفرحون بالقرآن الكريم(١٣١).

وهناك ثلاثة أقوال في الذين يفرحون وهي:

"أحدها: أنهم أصحاب النبي ﷺ, فرحوا بما أنزل عليه من القرآن, قاله قتادة وابن زيد.

الثاني: أنهم مؤمنو أهل الكتاب, قاله مجاهد.

الثالث: أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى فرحوا بما أنزل عليه من تصديق كتبهم, حكاه ابن عيسى"(١٣٢).

ومنهم من فصل في الذين يفرحون حيث قال: يريد من أسلم من اليهود، كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما، ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً: أربعون بنجران، واثنان وثلاثون بأرض الحبشة، وثمانية من أهل اليمن(١٣٣).

وعلى أية حال فمن آمن بالنبي ﷺ من أي نحلة أو فرقة ومن أي مكان فهم يفرحون بالقرآن الذين نزل على النبي ﷺ، ولا ينكرون منه حرفا واحدا. وهذا هو الفرح الحقيقي

(١٣٠) تفسير الطبري (١٣/١٦٤) والآية من سورة يونس/ ٤٠.
(١٣١) انظر: تفسير ابن زمنين (٢/٣٥٨),
(١٣٢) النكت والعيون للماوردي (٣/١١٦).
(١٣٣) انظر الكشاف للزمخشري (٢/٥٠١).

الذي لابد أن يستشعره كل مؤمن في نفسه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

لذلك نجد أن أعظم ما يفرح به المؤمن في الدنيا هو فضل الله ورحمته، فمن ظفر بهذين السببين نال خيري الدنيا والآخرة.

اللهم اجعلنا فرحين بفضلك وبرحمتك، ولا تجعلنا من الفرحين الذين لا تحبهم,,,

الخاتمة

وبعد رحلة مع الفرح وأنواعه وأسبابه ودواعيه، وصلنا إلى ختام هذا البحث الذي بينت فيه دواعي الفرح النفسية والاجتماعية، حيث كان للفرح دواع منها الغرور والكبر والحسد وقد يكون منها الرضا بما قسمه الله وبفضله وبرحمته، ثم هناك أسباب للفرح منها النصر على الأعداء، ومنها الترف والبطر، وكل فرح لابد أن يعي المرء هل هو ممن يحبهم الله أو ممن قال عنهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾.

ثم تكلمت عن أنواع الفرح، فهو بين فرح مباح مطلق وفرح مباح مقيد، ثم الكلام عن الفرح المذموم الذي لا يحبه الله ولا يرضاه.

ثم قسمت الفرحين الذين كان فرحهم بحسب حالهم، فمنهم من يتربص بالمؤمنين الدوائر، فيفرح بما يسوؤهم، ويحزن لما يفرحهم وهم المنافقون الذين لا يخلو منهم زمان أو مكان، أعاذنا الله من شرورهم.

ومنهم الكفار الأعداء, الظاهر كرههم للمؤمنين, وهم كسابقهم يفرح بكل ما يضر الإسلام وأهله، ويحزن لما يرضيهم.

ومنهم من فرح برحمة الله وفضله ومغفرته وثوابه وهم المؤمنون حقا, نسأل الله أن نكون منهم ومعهم وأن يحشرنا ربنا مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

التوصيات

وقد ظهرت لي بعض التوصيات التي لابد من ذكرها لعلها تنفع قارئها وسمعها وهي:

- تقوى الله في السر والعلن، فهي من أكبر أسباب الفرح.
- الحذر الشديد من الانغماس في الدنيا وملذاتها، فهي سبب للفرح المؤقت الذي يعقبه ألم وندم وحزن، وقد يتعرض الشخص لما نال قارون عندما بطر وفرح وظن أن ما فيه من عند نفسه.
- شكر الله الدائم على فضله ونعمه، حتى يكون له سببا في الزيادة والفرح، ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾.
- البحث الدائم عن أسباب الفرح التي ترضي ربنا -تبارك وتعالى- كي يستمر هذا الفرح في الدنيا والآخرة.
- أن تتولى المكتبات ودور العلم العناية الشديدة بمواضيع القرآن الكريم، فهي لا تنفد أبدا، ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾.

المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، دار النشر: دار الجيل – بيروت – ١٤١٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، لناصر الدين أبي الخير عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، دار الفكر بيروت.

٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، اسم المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار النشر : المكتبة العصرية – لبنان / صيدا ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم

٥- تاج العروس من جواهر القاموس ، اسم المؤلف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، دار النشر : دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين

٦- تفسير البحر المحيط ، اسم المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل.

٧- تفسير البغوي ، اسم المؤلف: البغوي ، دار النشر : دار المعرفة – بيروت ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك.

٨- تفسير التستري، اسم المؤلف: أبو محمد سهل بن عبد الله التسترى، دار النشر: دارالكتب العلمية – بيروت – ١٤٢٣ هـ، تحقيق : محمد باسل عيون السود.

٩- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لنصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار النشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.

١٠- تفسير القرآن / اختصار النكت للماوردي ، اسم المؤلف: الامام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي ، دار النشر : دار ابن حزم – بيروت – ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي.

١١- تفسير مجاهد ، اسم المؤلف: مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج ، دار النشر : المنشورات العلمية – بيروت ، تحقيق : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي.

١٢- تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد فريد.

١٣- تهذيب اللغة ، اسم المؤلف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عوض مرعب.

١٤- التوقيف على مهمات التعاريف ، اسم المؤلف: محمد عبد الرؤوف المناوي ، دار النشر : دار الفكر المعاصر , دار الفكر – بيروت , دمشق – ١٤١٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية.

١٥- الثقات ، اسم المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، دار النشر : دار الفكر – بيروت – ١٣٩٥ – ١٩٧٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد.

١٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، اسم المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥.

١٧- الجامع الصحيح سنن الترمذي ، اسم المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - - ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

١٨- الجامع لأحكام القرآن ، اسم المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار النشر : دار الشعب - القاهرة.

١٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة : الرابعة.

٢٠- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، دار النشر: دار القلم - دمشق - ١٤٠٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط.

٢١- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة: الثالثة.

٢٢- شرح صحيح البخاري ، اسم المؤلف: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ، دار النشر : مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

٢٣- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، اسم المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ - ١٩٩٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط.

٢٤- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: زكريا علي يوسف.

٢٥- العقد الفريد، لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت /لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثالثة

٢٦- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل, لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر: دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الطبعة : الرابعة.

٢٧- كتاب الزهد الكبير ، اسم المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي ، دار النشر : مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ١٩٩٦ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : عامر أحمد حيدر.

٢٨- كتاب العين ٨ مجلدات ، اسم المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي ، دار النشر : دار ومكتبة الهلال ، تحقيق : د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي.

٢٩- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

٣٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، اسم المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي.

٣١- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان --٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشـــور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.

٣٢- لسان العرب ، اسم المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار النشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة : الأولى.

٣٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة: الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

٣٤- المحكم والمحيط الأعظم ، اسم المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي.

٣٥- المحيط في اللغة ، اسم المؤلف: الصاحب الكافي الكفاة أب القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني ، دار النشر : عالم الكتب – بيروت / لبنان – ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين.

٣٦- مختار الصحاح ، اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، دار النشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥ – ١٩٩٥ ، الطبعة : طبعة جديدة ، تحقيق : محمود خاطر.

٣٧- المخصص ٥ مجلدات ، اسم المؤلف: أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤١٧هـ ١٩٩٦م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : خليل إبراهم جفال.

٣٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، اسم المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، دار النشر : مؤسسة قرطبة – مصر.

٣٩- مشاهير علماء الأمصار، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٥٩، تحقيق: م. فلايشهمر.

٤٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، اسم المؤلف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، دار النشر : المكتبة العلمية – بيروت.

٤١- المعجم الأوسط ، اسم المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، دار النشر : دار الحرمين – القاهرة – ١٤١٥ ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ,عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

٤٢- معجم مقاييس اللغة ، اسم المؤلف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، دار النشر : دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون

٤٣- المقتنى في ســـرد الكنى، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، دار النشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة – المدينة المنورة – السعودية – ١٤٠٨هـــ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد.

٤٤- النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، اسم المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – لا يوجد ، الطبعة : لا يوجد ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

٤٥- الوافي بالوفيات، لصـــلاح الدين خليل بن أيبك الصـــفدي، دار النشـــر: دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى.

٤٦- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعلي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، دار النشر: دار القلم, الدار الشامية - دمشق , بيروت - ١٤١٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: صفوان عدنان داوودي.